220133 - من معاني كلمة (الحكمة) في القرآن الكريم أنها السنة النبوية

السؤال

فسَّر العلماء السابقون معنى " الحكمة " بأنها سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهل هنالك من دليل على هذا التفسير ، وكيف فسَّر الرسول صلى الله عليه وسلم الحكمة ، وهل هنالك حديث يدل على ذلك .
فأنا أرى أنَّ الآيات الكريمة الآتية تدل على معاني مختلفة عن تلك التي جاء بها علماء التفسير :
– ففي سورة " البقرة " – الآية : 231 : (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ) حيث أخبروني أنَّ " الحكمة " هي نفسها " الكتاب " – الكتاب في هذا الآية هو القرآن- والدليل على ذلك هو كلمة (بِهِ) في آخر الآية ، التي جاءت بصيغة المفرد ، وعليه يكون معنى الكتاب القرآن ، ومعنى الحكمة : حكمة الله .
– وفي سورة " المائدة " – الآية : 110 (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا . وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ) لا يمكن أن يكون معنى " الحكمة " هنا بأنها سنة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أتى بعد عيسى عليه السلام . فما المقصود بالحكمة في هذه الآية .
– وأيضاً في سورة " البقرة "- الآية : 129 : (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ . إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) لا يمكن أن يكون معنى " الحكمة " هنا بأنها سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .
– وفي سورة " البقرة " – الآية : 269: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) . فهل هذا يعني أن يمكن لأي أحد يختاره الله أن يعلم سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .
لو أراد الله قصد معنى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم لاستخدم كلمات دالة (محددة) على قصده ، كما قال في سورة " الأحزاب "- الآية : 62 (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) ، وكما في سورة " المرسلات "- الآية : 50 (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) .
وقد قال الله عز وجل في سورة " الزمّر "- الآية : 28 (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) فاستخدم هنا كلمة القرآن ، ولو أراد ذكر الحديث أو السنة لذكرهما صراحة ، فالله عز وجل يعرف مصطلح السنة والحديث ، فلماذا لا يلقي العلماء بالاً إلى المعاني التي قصدها الله عز وجل بلغة واضحة ، وليست مبهمة ، ويحرفون المعاني ؟

الإجابة المفصلة

مما يسرنا أن نجد المسلمين مهتمين ببيان معاني القرآن الكريم ، والبحث في ذلك ،
لأننا لا يمكننا العمل بالقرآن الكريم على الوجه الذي يرضي الله سبحانه وتعالى إلا
بعد أن نعرف معناه معرفة صحيحة .

فمما يشكر عليه السائل ويمدح عليه بحثه في معاني القرآن الكريم .
ولكن ينبغي لمن أشكل عليه شيء من معاني القرآن الكريم أو غيرها مما يتعلق بالعلوم الشرعية ، أو وجد شيئا مما قاله العلماء يخالف ما يظهر له من المعنى ينبغي أن يحسن الظن بالعلماء ، فإنهم بطبيعتهم البشرية ليسوا معصومين من الخطأ ، غير أنه لا يجوز اتهامهم بقصد تحريف معاني كلام الله ، فقد يكونون مخطئين فعلا ، ولكن عن غير قصد ، بل عن اجتهاد فيكون لهم أجر ، كما أخبر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن اجتهد وأخطأ أن له أجرا ، ومن أصاب فله أجران .
وقد يكون العالم مصيبا ولكن القارئ لكلامه هو الذي لم يفهمه على وجهه الصحيح ، كما وقع للسائل في هذا السؤال .
ثانيا :
أما ما سأل عنه السائل ، فقد جاءت كلمة (الحكمة) في آيات كثيرة من القرآن الكريم ويراد بها سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن هذه الآيات بعض الآيات التي أوردها السائل في سؤاله .
فمن ذلك : قول الله تعالى : (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) البقرة /231.
وقوله تعالى : (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) النساء/113.
فهذه الآيات تدل على أن الله تعالى أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم شيئين ، وهما الكتاب والحكمة ، فالكتاب هو القرآن الكريم ، والحكمة ، لم يبق لها معنى إلا أن تكون سنة الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المعنى فقال : (أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ) رواه أبو داود (4604) .
قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري :
" (أوتيت الكتاب ومثله معه) قال أهل العلم : أراد بذلك السنة التي أوتي" . انتهى من شرح ابن بطال (19/473) بترقيم الشاملة .
وقال أيضا (19/473) :
" كان جبريل ينزل عليه بالسنن كما يأتيه بالقرآن، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : (أوتيت الكتاب ومثله معه) يعنى : من السنن" انتهى .
وقال ابن قتيبة في "تأويل مختلف الحديث" (1/58) بترقيم الشاملة :

" قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أوتيت الكتاب ومثله معه) يريد : أنه أوتي الكتاب ومثل الكتاب من السنة " انتهى .

وبهذا يتبين أن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وحي منزل من الله تعالى ، وهي الحكمة التي أنزلها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم .

وأما الضمير في قوله (يعظكم به) فإنه عائد على (ما) في قوله تعالى : (وما أنزل عليكم) وليس عائدا على الكتاب ولا الحكمة على سبيل الانفراد .

ومن هذه الآيات أيضا :

قول الله تعالى : (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) البقرة/151، وقوله سبحانه : (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) البقرة/151، وقوله عز وجل: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) آل عمران/164.

وقوله تعالى : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) الجمعة/2.

فما الذي عَلَّمه النبي محمد صلى الله عليه وسلم للناس الذين بعث فيهم ولأمته ؟

أليس هو القرآن الكريم ، والسنة النبوية ؟

وتأمل قوله سبحانه مخاطبا أمهات المؤمنين : (وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا) الأحزاب/34، وما الذي كان يتلى ويذكر في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم ؟ أليس هو القرآن والسنة ؟

إذن فالكتاب هو القرآن ، والحكمة هي السنة .

وقد ذكر الإمام الشافعي رحمه الله هذه الآيات ونحوها ثم قال :

" ذكر الله الكتاب ، وهو القُرآن ، وذكر الحِكْمَة ، فسمعتُ مَنْ أرْضى من أهل العلم بالقُرآن يقول : الحكمة سنة رسول الله ؛ لأن القُرآن ذُكر وأُتْبِعَتْه الحكمة ، وذكرَ الله منَّه على خَلْقه بتعليمهم الكتاب والحكمة ، فلم يَجُزْ –

والله أعلم – أن يقال الحكمة هاهنا إلا سنةُ رسول الله . وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله ، وأن الله افترض طاعة رسوله ، وحتَّم على الناس اتباع أمره ، فلا يجوز أن يقال لقول : فرضٌ ، إلا لكتاب الله ، ثم سنة رسوله ". انتهى من " الرسالة " (1/78).

وقال العلامة ابن رجب رحمه الله :

" من قال الحكمة : السنة ، فقوله الحق ؛ لأن السنة تفسر القرآن ، وتبين معانيه ، وتحض على اتباعه " انتهى من " لطائف المعارف " (ص/84).

وأما قول السائل : لماذا استعمل اسم " الحكمة "، ولم يقل " السنة " ؟

فالجواب على هذا أنها أسماء مترادفة لشيء واحد ، فالسنة هي الحكمة ، وهي الطريقة ، وهي البيان ، وهي الهَدْي .. إلى آخر الأوصاف والأسماء التي أطلقت في الكتاب والسنة عليها ، فأي ضير في اختيار أحدها وإطلاقه في الآيات الكريمات .

وفي هذا الإطلاق (الحكمة) مدح للسنة وحث على التمسك بها ، فمن أراد الصواب في القول والعمل فعليه بهدي النبي صلى الله عليه وسلم وسنته .

ثالثا :

أما ما أورده السائل في الآيات التي لا يمكن تفسير الحكمة فيها بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا ينفي ذلك أن الحكمة قد جاءت في آيات أخرى وأريد بها سنة النبي صلى الله عليه وسلم .

وذلك لأن كلمة (الحكمة) لها عدة معانٍ ، وليس معنى واحدا ، والذي يحدد معناها هو السياق الذي وردت فيه ، فليست كلمة (الحكمة) في جميع الآيات لها نفس المعنى .

قال الشيخ ابن باز رحمه الله :

" الحكمة كلمة مشتركة ، تطلق على معان كثيرة ، تطلق على النبوة ، وعلى العلم والفقه في الدين ، وعلى العقل ، وعلى الورع ، وعلى أشياء أخرى ، وهي في الأصل كما قال الشوكاني رحمه الله : الأمر الذي يمنع عن السفه ، هذه هي الحكمة . والمعنى : أن كل كلمة ، وكل مقالة تردعك عن السفه ، وتزجرك عن الباطل ، فهي حكمة . وهكذا كل مقال واضح صريح ، صحيح في نفسه ، فهو حكمة ، فالآيات القرآنية أولى بأن تسمى حكمة ، وهكذا السنة الصحيحة أولى بأن تسمى حكمة بعد كتاب الله ، وقد سماها الله حكمة في كتابه العظيم ، كما في قوله جل وعلا : (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) يعني السنة ، وكما في قوله سبحانه : (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) الآية ، فالأدلة الواضحة تسمى حكمة ، والكلام الواضح المصيب للحق يسمى حكمة " انتهى من "مجموع فتاوى ابن باز" (1/336).

والخلاصة : أن (الحكمة) في آيات القرآن الكريم وردت وأريد بها سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما وردت في آيات أخرى ولها معان أخرى .

والله أعلم .